جماليات الخطاب الفني في رواية "اللاز" للطاهر وطار
-مقاربة جمالية في المنظور السردي-

Aesthetics of Artistic Discourse in the Novel "The Laz" by Tahar Wattar
An Aesthetic Approach in the Narrative Perspective

فتحي بوخالفة
جامعة المسيلة (الجزائر)Fethi.boukhalfa@univ-msila.dz
المخبر: مخبر الشعرية الجزائرية-جامعة المسيلة

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2024 / 04 / 30	2024 / 05 / 21	2024 / 06 / 01

ملخص البحث

يعنى البحث بدراسة المنظور السردي، في رواية "اللاز" للطاهر وطار. حيث يتم تتبع آليات تجلي الرؤية الروائية للنص، من خلال نمط وجماليات الخطاب السردي، تبعا لخاصية تنوع الخطابات والانتصار لرؤية إيديولوجية معينة.

وفي هذه الحال، تم اعتماد طريقة التحليل الفكري والمعرفي، لمجمل المقولات النظرية والإيديولوجية التي تضمنها النص، وفق وعي الشخصيات الروائية، التي أسهمت بقسط وافر في بلورة جماليات الخطاب، وفق المنظور السردي للرواية.

الكلمات المفاتيح: الواقعية الاشتراكية، السياق التاريخي، التحولات الجدلية، الوجود الاجتماعي، الوعي الاجتماعي.

Abstract

The research is concerned with studying the narrative perspective in the novel "Al-Laz" by Al-Taher Wattar. The mechanisms of manifestation of the narrative vision of the text are traced through the style and aesthetics of narrative discourse, depending on the characteristic diversity of discourses and the victory of a particular ideological vision. In this case, the method of intellectual and cognitive analysis was adopted for all the theoretical and ideological statements included in the text, according to the awareness of the fictional characters, who contributed greatly in crystallizing the aesthetics of the discourse, and according to the narrative perspective of the novel.

Keywords: socialist realism, historical context, dialectical transformations, social existence, social awareness.

1.مقدّمة:

التزمت الساحة الثقافية في "الجزائر" بعد الاستقلال، بإنتاج قيم أدبية أخذت على عاتقها مسؤولية، ترسيخ قيم الديمقراطية والتقدمية. والاقتراب أكثر من الواقع الجزائري المعاش. وقد سجلت في هذا الصدد، في فترة الستينات والسبعينات من القرن العشرين، اهتمام الكتاب الشباب الجزائريين بكتابة القصة القصيرة، ثم تطورت اهتماماتهم بعد ذلك، نحو كتابة الرواية كرؤية قصصية مطولة. لأنهم أدركوا بوعيهم الأدبي والثقافي بأن القصة القصيرة، لم تعد المجال الإبداعي، الذي يلبي حاجاتهم الفكرية لإثراء عملية الصراع القائمة، بمختلف أوجهها على مستوى الساحة الجزائرية الجديدة، نتيجة تعقد الواقع الاجتماعي بصورة أكثر. وهذا على عكس الرواية، التي باستطاعتها تجسيد عالم كامل من الصراع بكافة شروطه وملابساته التاريخية والاجتماعية. ولعل هذا ما يبرر كثافة الكتابة الروائية خلال فترة السبعينات من القرن الماضي، لأن تجسيد المستقبل بتناقضاته وتوجهاته الجديدة، أمر صعب من الناحية الجمالية، من خلال الكتابة القصصية القصيرة.« والرواية فن المستقبل الذي بإمكانه أن يلقي القبض على اللحظة التاريخية بكل أبعادها في لحظة توترها وعنفوانها. فهي ليست مجرد تركيب فني، مجبر على الالتزام بقواعد ما. وهي تجسيد للواقع فنيا بكل ما يحمل هذا الواقع من تناقضات طبيعية»(1)؛ بمعنى إعادة إنتاج الواقع مجددا، وفقا للوعي الاجتماعي المواكب للتطورات التاريخية الجديدة. فالتجربة الواقعية لـ"الطاهر وطار" مثلا هي رسم لواقع معين، ورسم لحدود واقع تاريخي محدد، تتطور عناصره ضمن حدود معينة من الصراع والنضال. فالتجربة من خلال وعيها الروائي تشير إلى حدود وعي كلي شمولي عام. وهنا لا يفارق الوعي الجزئي المحدود، الوعي الكلي الشامل، ولا يمكن أن يكون معزولا عنه، إنما هو متواجد ضمنه ويتحدد في حال موضوع ما، وفق رؤية فكرية وآليات فنية معينة. لأن التجربة الروائية لا تنتج وعيا روائيا، تبعا لوعي روائي مستقل ومتعال؛ إنما تنطلق من وعيها العام والكلي. لذلك فما يجعل الفن على درجة من الطليعية لدى كتاب الواقعية الاشتراكية، « ليس ما هو شائع عن التطور الفني أو الابتكار، أو التحديد المذهل في التكنيك أو المعاناة، بل المضمون الإنساني والاجتماعي وعمق قفزة الفنان إلى المستقبل، ولذا فإن الأعمال التي تبقى وحدها، هي الأعمال التي تتطابق بمعنى واسع وعميق مع تطور البشرية»(2).

بدت هذه الملامح بوضوح في تجارب الواقعية الاشتراكية للكتاب الجزائريين خاصة في رواية "اللاز"، التي تمكنت من إعادة حقبة تاريخية غامضة من تاريخ "الجزائر" الحديث إلى الوجود. لتطرح الرواية مجددا، استماتة المناضل الشيوعي في النضال من أجل مبادئه وقيمه اليسارية.

2.الخطاب والمشروعية التاريخية:

أعادت رواية "اللاز" بناء الواقع الجزائري من جديد، ووضع القارئ أمام الحكم التاريخي، لتتأكد صفة الإخلاص الوطني لشخصية "زيدان" المناضل اليساري لا لشخصية "الشيخ". فأبرزت الرواية المواقف السلبية لبعض التوجهات الدينية ، التي سقطت مع مرور التاريخ في حبائل التوجهات الإمبريالية العالمية.

والرواية وهي تعيد النظر في التاريخ من منظور ملحمي، لم تعتمد المستهلك والجاهز، لتصوغ أحكاما في القضية الثورية المحورية التي تعالجها، فقامت لذلك بتوضيح المهمة الإيديولوجية، التي يقوم المنظور

السردي للرواية بإبداعها. والمتمثلة أساسا في توضيح المحتوى المادي للحركة التاريخية، وتحديد اتجاهاتها. إن الرواية بهذا المعنى، تحمل في ثناياها حلم الجماهير الشعبية بالتغيير، وتستبطن في ثناياها إرادة جماعية في التقدم. لذلك فأدب الواقعية الاشتراكية في "الجزائر"، « يشارك بالفعل في إيقاظ الضمير الجماعي، على إحدى مناطق التعاسة البشرية»(3).

تابعت التجربة الروائية للكاتب "الطاهر وطار"، الوعد الذي التزمت به، بمتابعة تطور الرحلة النضالية "للجزائر" عبر كافة مراحلها التاريخية(4)؛ بداية من ثورة التحرير في رواية "اللاز"، إلى التحولات الديمقراطية الجديدة بعد الاستقلال، في رواية "العشق والموت في الزمن الحراشي" (الجزء الثاني لرواية "اللاز")، بكافة الإشكالات والتناقضات التاريخية. حيث يمكن للقارئ أن يستنتج أن الذين شاركوا في الثورة التحريرية، وحتى الذين كانوا من قادتها لم يكونوا على مستوى واحد، من التجانس والانسجام الفكري والإيديولوجي، بحيث يمكن أن توجههم توجهات تاريخية موحدة، تتبوأ عملية توجيه الجماهير الشعبية، نحو تغيير تاريخي اجتماعي حاسم. لذلك كانت شخصيات جديدة، من مثل: "مصطفى" و "رضوان" في رواية "العشق والموت في الزمن الحراشي"، امتدادا لرؤية "الشيخ" الذي أمر بإعدام "زيدان" في رواية "اللاز".

وعليه لم يكن مستبعدا أن تتحول رؤية "زيدان" الإيديولوجية، إلى أنموذج عقيدة التزام وطني، للطلبة المتطوعين (الفولنتاريا)، الذين ينحدرون من طبقات شعبية فقيرة، أمثال: "الشريف" و "جميلة" و"الشباح المكي" (من خلال مذكراته) و"اليامنة"، بالإضافة إلى شخصية "اللاز"، هذه الشخصية التي كان حضورها في الرواية، كصوت دائم لضمير الشعب الجزائري، الذي بقي شاهدا على كل التحولات التاريخية في الوطن، منذ اندلاع ثورة التحرير، إلى مرحلة البناء الديمقراطي بعد الاستقلال. والمادة الشعبية الخام المختزنة في ذاكرة "اللاز"، والتي حجمت فاعليتها خلال أيام ثورة التحرير، استيقظت خلال مرحلة البناء الوطني، في رواية "العشق والموت في الزمن الحراشي"، وكانت يقظتها في اللحظة التاريخية المناسبة، عندما تطور الصراع بين مختلف القوى الوطنية.

ولم تغامر تجربة "الطاهر وطار" السردية، في تقديم نهاية جاهزة للرواية. إنما على النقيض من ذلك فهي رغم أنها تقدم بوادر نبوءات خطيرة، فهذه النبوءات هي نتاج وعي لتطورات البنى الاقتصادية والاجتماعية في البلاد. ومدى انعكاس هذه التطورات على مختلف شخصيات الرواية، التي لا تحقق تجانسا طبقيا من حيث الانتماء. وفي ظل هذه التحولات يبقى التاريخ وحده المخول، بإعطاء النهايات المناسبة، والكشف عن نتائج هذا الصراع.

ومع أنه لا يمكن التفصيل أكثر في التنبؤات التاريخية التي تضمنتها، تجربة الكاتب "الطاهر وطار" الروائية، إلا أن المنعطفات والوقائع التاريخية التي تحدث على مستوى الواقع، من شأنها الكشف عن صدق تلك التنبؤات. وتبقى دائما القيمة النوعية للأدب الروائي، متمثلة في قدراته الكبيرة على التنبؤ بحيثيات المستقبل، انطلاقا من نقد الواقع. وهذا ما يلاحظ في هذا الأنموذج، « لكن المؤكد أنه بعد سنوات، لن يتطوع غير الملتزمين الحقيقيين، بالعقيدة الثورية. إن العراقيل المتعددة والتخريبات المتنوعة، ستحدث كلها

في يوم من أيام الفرز ونبقى وحدنا. وجها لوجه مع الحامض، في حالة زيدانية محضة. إما أن نسلم أعناقنا للذبح، وإما أن نتخلى عن معتقدنا»(5).

بناء على هذه المعطيات التاريخية، المحددة للتحولات الديمقراطية الهامة لـ"جزائر" ما بعد الاستقلال، يتعلق الأمر بعمل من أعمال العنف يدبر ضد "جميلة"، برمي الحامض على وجهها، من لدن شخص متمسك بأصوليته. وهو الوجه المقابل في رواية "اللاز"، عندما يكون "زيدان" المناضل الشيوعي ضحية لحكم إعدام صدر في حقه.

ومظاهر التناقض في تجربة "الطاهر وطار" أخذت أبعادا متعددة، اجتماعية وسياسية وثقافية. فمقابل شخصية "زيدان" أنموذج النضال الثوري المخلص، تقف شخصية "العنابية" في رواية "عرس بغل"(6) بهيمنة وسط علاقات إنسانية متناقضة ، لا تزال بحاجة إلى إعادة نظر. فعلى غرار شخصية "العنابية"، هناك "حياة النفوس" و"الهزيون"، أمثال هؤلاء كلهم ضحايا واقع اجتماعي متناقض، فرض ترسباته عليهم وأهدر أحلامهم وطموحاتهم. وقد توصلت رواية "عرس بغل" إلى فكرة جوهرية مفادها أن مثل هذه العلاقات الإنسانية، هي من مخلفات البرجوازية الاقطاعية، ولا يمكنها أن تكون في صالح الإنسان، لأنها ضد حركة تطور التاريخ البشري. لذلك تقتضي الحتمية التاريخية زوالها وانهيارها؛ فالطبيعة الأنانية المنفعية، التي تحرك شخصية "العنابية"، لم تفقد طبيعتها الطبقية لتصير في النهاية إلى أنموذج سلبي للطبيعة الإنسانية. وأكيد أن النص هو من صميم الواقع الاجتماعي، الذي جسد تناقضات اجتماعية هامة، أثرت على طبيعة العلاقات الإنسانية. كما أنه أكثر التزاما بالموضوعية المجردة في التعامل مع الظواهر الاجتماعية. فشخصيات رواية "عرس بغل" تشتمل على قيم إنسانية معينة، غير أن هذه القيم هي في حدود عالم محدود ومغلق، تمر من خلاله الحياة التي تحرك هذه الشخصيات نحو مصالحها الطبقية. وهو التوجه المحدد دائما لعلاقات الصراع الطبقي المستمر، والذي يجمع مختلف تناقضات التاريخ الإنساني.

شكل نمو البرجوازية الصغيرة وتكريسها واقعيا، اهتماما كبيرا لأدب الواقعية الاشتراكية. وهي الشريحة البشرية والاقتصادية التي صارت تشكل وجودا فعليا، في بلدان العالم الثالث بعد تحررها من نير الاستعمار الأجنبي. وكان من المفترض استغلال هذه الشريحة استغلال عقلانيا، بشكل يسهم في بناء الحياة الاقتصادية لتلك البلدان، وفق الأنظمة الاشتراكية الحديثة. فتذبذب هذه الشريحة ليس ظاهرة سلبية بقدر ما تملك من قابلية التشكل من جديد، من خلال تجربة نضالية معينة. فشخصية "علي الحوات" في رواية "الحوات والقصر"(7)، تتميز بطابعها الشعبي الخام، فهي بذلك قابلة للتغيير.

يحلم "علي الحوات" ذات مرة بالتقرب من السلطة (سلطان البلاد)، في أجواء أسطورية عجيبة. يتطور هذا الحلم إلى انشغال فردي، ثم إلى انشغال جماعي. ثم يكتشف "علي الحوات" أن السلطان الذي كان يرغب في لقائه والتقرب منه مات، وأن فئة من المأفونين في المجتمع وقطاع الطرق، استولت على السلطة. فيجبر على إبلاغ أهل البلدة بذلك، ليبدئوا في تدبير شؤونهم وشؤون بلادهم. وفي محاولاته من قبل للتقرب من السلطان، كان يخسر ذاته ويتنازل عن قيمه شيئا فشيئا.

والقرى السبع التي كان يمر بها، والتي كانت تشكل المجتمع الذي ينتمي إليه، كانت تسهم في تشكيل وعيه التاريخي، عندما كان يحتك بأهلها ويقوم بتوعيتهم. غير أنه في النهاية يقتنع بطروحات قرية الأعداء، لأنها القرية التي كانت واضحة في رؤاها. وأكثر نضجا وثورية من غيرها من القرى الأخرى. وهذا يثبت من منظور فكري عقيدي، أن البرجوازية الصغيرة مهما كانت طبيعة انتهازيتها، في حال وعيها بطبيعة الواقع القائم، وفهمها لخصوصياته صارت بمنأى عن السقوط في السلبية والمحاولات الهروبية غير المبررة. ولإثراء موضوع كهذا استفاد النص كثيرا من الموروث الشعبي، الذي مكنه من التعبير بحرية أكبر، والاستفادة أيضا من الموروث الأسطوري الشعبي، للتعبير عن وجهة نظر فكرية تقترب إلى حد بعيد، من وجهة نظر الشخصية الرئيسة. فشخصية "علي الحوات" تقدم نفسها كشخصية واقعية بسيطة، مندمجة في الواقع الشعبي الجماهيري. تؤسس علاقاتها الطبيعية والجدلية مع الواقع، لتعيد إنتاجه مجددا وفق نمط جديد لتشكيل وعيه الاجتماعي.

3.الرؤية الجمالية للخطاب في رواية "اللاز":

استطاعت نماذج روائية واقعية هامة في الأدب الجزائري الحديث، على غرار تجربة الكاتب "الطاهر وطار" الروائية، أن تقدم برؤية ثورية وأنفاس تقدمية، مرحلة جديدة لتطور الكتابة السردية، في ظل توجهات الواقعية الاشتراكية، مستفيدة من التراث والحداثة والواقع المعاش، انطلاقا من القناعة التاريخية أن الفن، « ليس مجرد تعبير عن الواقع، بل هو أداة فعالة لتغييره»(8).

عنيت الرواية ذات التوجهات الواقعية الانتقادية، بدراسة وتصوير العلاقات بين الشخصية في المجتمع، وسائر البنى الطبقية الاجتماعية الأخرى، وكذا علاقات الصراع القائمة بينها وبين المجتمع ومصيرها بعد ذلك. غير أن هذه الدراسة وهذا التصوير الفنيين، غالبا ما كانا يتصفا بالتعامل مع الجوانب الظاهرية فقط للظاهرة الاجتماعية. وغالبا ما كان التسرع يميز تصوير ودراسة تلك الظاهرة.

أما في الرواية ذات التوجهات الواقعية الاشتراكية، فالمجتمع بأكمله مجال للتصوير والدراسة والإثراء. وقد حاولت الواقعية الاشتراكية جاهدة من خلال منتجاتها الروائية، أن تطرح البديل الثوري للمجتمع الحقيقي، الذي يرفض العلاقات الاجتماعية الجائرة، والتي تجعل من الإنسان مجرد كيان سلبي، لا يحقق غير المنفعة المادية الصرفة، وفق منظور "براغماتي" لا يمنحه كيانا إيجابيا.

وهي القيمة الإيجابية الهامة، التي تؤكد بأن الواقعية الاشتراكية في "الجزائر"، مؤهلة تاريخيا لاستقطاب المزيد، من الكتابات الروائية لشباب طليعي جديد، يتميز بثقافة الإنتاج والتغيير. ولأن تؤدي أدوارا كبيرة، دون الاقتصار على أسماء لامعة بحجم "الطاهر وطار" و "واسيني الأعرج"... وغيرهما من الأسماء الكبيرة. ونتيجة لتعقد المرحلة التاريخية، التي لم تعد القصة القصيرة مجالا أدبيا و ثقافيا وحيويا، لاستيعاب مختلف التناقضات التاريخية والصراعات الاجتماعية، كان لزاما على الرواية أن تتأسس كشكل أدبي، وكنتاج للتطورات التاريخية والاقتصادية والاجتماعية الجديدة، لاحتواء وإثراء مختلف التحولات الجديدة في "جزائر" الاستقلال.

تعالج رواية "اللاز" للكاتب الجزائري "الطاهر وطار"، موضوعا هاما ربما يكون متفردا من حيث توجهات الرواية الجزائرية الحديثة في معالجته. ويتمثل في التعقيدات التاريخية التي صاحبت اندلاع ثورة التحرير في "الجزائر" سنة 1954م. وكانت المعالجة متعلقة على وجه التحديد بالخلفيات التاريخية، وأنماط التحالفات التي طرحت على مستوى القوى الوطنية، التي اتفقت في لحظة تاريخية حاسمة على تحرير "الجزائر" من ربقة الاستعمار الفرنسي.

حاول النص تركيز كافة إمكاناته الإبداعية والجمالية، على كل السلبيات التي صاحبت، التطورات التي عرفتها وقائع ثورة التحرير في أوانها. وهي سلبيات طبيعية، عادة ما تصاحب أية ثورة تحريرية تقوم في العالم، باعتبارها ثورة تضم مختلف الفئات البشرية، غير المنسجمة من حيث الانتماء الطبقي بشكل كلي، وإن كان الهدف المشترك بين مختلف تلك الفئات الشعبية واحدا، هو الكفاح من أجل استقلال "الجزائر". وطبيعي أن توجد للثورة ضحايا، حيث كان "زيدان" الشخصية اليسارية والهامة في الرواية الضحية الفعلية للثورة، نتيجة تمسكه بانتماءاته اليسارية. وقد جعل منه النص، شخصية كاملة من حيث الفاعلية والإسهام في تطور الأحداث، ومنحها أبعادها التاريخية الإيجابية والمنتجة.

تكون شخصية "زيدان" على مستوى النص، في خدمة الثورة التحريرية بالإضافة إلى تسخير خبرتها النضالية من أجل ذلك، علما بأن هذه الشخصية التحقت بصفوف "جبهة التحرير الوطني"، بمحض إرادتها واختيارها، وكان من الممكن ألا تلتحق على الإطلاق. لكن التاريخ الطبقي لـ"زيدان" ونزوعاته التغييرية ذات الأبعاد الثورية، ما كانا يبعدانه عن التقاعس عن أداء واجبه الوطني والتاريخي إزاء بلده. ويمنعانه من خيانة الوطن والثورة، التي كان هو ورفاقه من اليساريين "الأمميين"، يتفانون في خدمتها. والتضحية في سبيلها، ثم يتهمون بعد ذلك بالتقصير في حقها.

ورغم أن شخصية "زيدان" شخصية حساسة، غير أن وجودها الاجتماعي والوعي بقيمة وأهمية موقعها التاريخي، يقودانه دوما نحو الإخلاص في أداء واجبه الوطني والتاريخي؛ فحتى الخطأ الذي ارتكبه يوما ما، مع "مريانة" في الغابة وكانت نتيجته "اللاز" بقي يؤرقه باستمرار. وهو الخطأ الذي بقي يستحضره، ويضغط على ذاكرته إلى غاية تصفيته.

تظهر شخصية "اللاز" في النص، كشخصية طائشة، بعنف نزقي وتصرفات طفولية. يعرف "اللاز" أعدائه بحسه الغريزي الذي يقارب الحس "الحيواني". غير أنه سرعان ما يجد نفسه، مسخرا لكافة طاقاته الخامة لفائدة الثورة. حيث يعرف وقتها أن "زيدانا" هو والده الحقيقي. فيكلف من يومها بالمهمات العصيبة، لمعرفته بطبيعة المنطقة. وتقوم الثورة بشحذ همه، بكافة مصاعبها ومتاعبها.

وضمن هذه الأجواء الصعبة، والتي تصل إلى درجة التعقيد يتعرف القارئ، على "حمو" وهو أخ "زيدان"، الذي يمثل أنموذج الإنسان الشعبي المقهور والمستلب الإرادة. تحركه باستمرار حاسته الطبقية، الذي تعرفه بطبيعة وجوده الاجتماعي.

رغم فشل "اللاز" في مواجهة واقعه التاريخي المعقد والملئ بالتناقضات، فإنه لا يقبل على الخيانة الوطنية، عكس ما قام به "بعطوش" المجند الفقير، الذي لم يتوان عن مضاجعة خالته "حيزية" زوجة

"الربيعي"، بأمر من الضابط الفرنسي. وفي لحظة جنونية غير محسوبة، يقدم على قتل "مريانة" أم "اللاز"، ومثل هذه الأفعال مثلت أكثر اللحظات القاسية التي عاشها "بعطوش"، والتي كان لها بالغ الأثر، في تشكل وعيه الوطني الجديد ليقوم بالهرب من الثكنة العسكرية، ويهرب كل السجناء بمن فيهم "اللاز".ويقوم باقتحام الثكنة وتدميرها، ليتحول إلى مناضل وطني حقيقي، في صفوف "جبهة التحرير الوطني".

إن استيقاظ الوعي التاريخي والطبقي لدى "بعطوش"، جعله يتحول إلى شخصية أكثر إيجابية، من خلال التعاطي مع واقعه برؤية ثورية تغييرية مؤثرة، بالالتحاق بصفوف الثورة التحريرية، والابتعاد عن الخيانة الوطنية.

ومقابل هذه المفاهيم الجديدة وهذه الشخصيات الشعبية، التي ظلت وفية لمبادئها الثورية إلى الأبد، هناك شخصية "الشيخ" بوقارها المفتعل، والتي حققت رداءة تاريخية. ومع أنها مثلت على مستوى النص، أنموذج الإنسان الوطني الملتزم، غير أنها لم تلبث أن أكدت منظورا رجعيا ضمن مسار تطور الحركة الوطنية في "الجزائر".

يقدم "الشيخ" على نصب كمين لـ"زيدان" ورفاقه، فيقوم بإعدامهم أمام "اللاز"، لأنهم رفضوا التخلي عن معتقدهم الإيديولوجي اليساري، وخيانة مبادئ "الحزب الشيوعي الجزائري" الذي كانوا ينتمون إليه.

وأمام منظر الإعدام البشع، الذي تعرض له "زيدان" ورفاقه بأمر من "الشيخ"، يصاب "اللاز" بحالة هستيرية مزمنة وصامتة، ولم يعد يتذكر من حياته غير مثل شعبي، حفظه من والده "زيدان" يتضمن الأصالة والإخلاص. والاستماتة في سبيل العقيدة والمبادئ والأهداف، وهو (ما يبقى في الوادي غير حجاره). وهو المثل الذي يحمل في ثناياه أيضا –من منظور النص- معاني سياسية وعقيدية عميقة للغاية.

رغم هذه التصفيات الجسيمة في صفوف الثورة التحريرية، نتيجة عدم الانسجام الإيديولوجي والعقيدي بين مناضليها، استمرت الثورة في مسيرتها التحررية، لأن الزخم الشعبي الجزائري بأبعاده الثورية، كان يتجاوز أحلام وطموحات الفئات البرجوازية الصغيرة. فالواقع الطبقي في "الجزائر"، هو الذي كان يصنع خصوصية الأحداث التاريخية، ويعطيها نمط الوعي التحرري وفق مقتضيات الظرف التاريخي القائم آنذاك. وتشكل الوعي للفئات الشعبية الفقيرة، كان بشكل عفوي، لأن هذه الفئات ضيعت كل ما تملكه، فلم يعد بحوزتها شيء تخسره، غير الانتصار لقضيتها التاريخية، وفق ما تمليه قيم الثورة التحريرية. ومن هنا تبرز حيثيات« البعد الاجتماعي في تصوير حياة هؤلاء الناس وهؤلاء المناضلين الجزائريين. فهم كلهم قد نبتوا من طبقة اجتماعية فقيرة، حزهم الفقر بنابه حتى وصل إلى أعماق أجسامهم، ولكنه لم يستطع أن يجمد فيهم الثورة، والإباء والتطلع إلى الخلاص؛ بل لعل هذا الوضع الاجتماعي ،كان دافعا من دوافع التطلع إلى الخلاص»(9).

وبغرض الوصول للتجسيد الجمالي للمأساة الإنسانية، التي كان يعيشها الإنسان الجزائري خلال المرحلة الاستعمارية، وكشف أخطاء وتجاوزات الحركة الوطنية، كان لزاما على النص وسائر النصوص السردية الجزائرية، التي التزمت بالواقعية الاشتراكية. والتي اعتمدت المنظور العلمي في فهم عملية التطور

التاريخي، أن يتلاحم التفكير العلمي للنص والمثل الأعلى للاشتراكية، « بالفهم العميق للواقع والتطور الموضوعي، لتلك القوى الاجتماعية القادرة على جعل هذه المثل حقيقة واقعة»(10).

4.التحولات الجدلية للأنساق السردية:

تطرح رواية "اللاز" كل المقولات السياسية الأساسية، البسيطة والمعقدة بدءا من استذكارات "الربيعي"، الذي يقف في الطابور لاستلام منحة ابنه "قدور" "الشهيد" كل فصل (ثلاثة أشهر). ومن خلال عملية الاستذكار هذه يمنح النص للقارئ، إمكانية التمتع بآليات تطور أحداث ووقائع الرواية، من خلال التحولات المستمرة للبنية الدرامية، بعيدا عن منطق المصادفة والنهايات الجبرية الجاهزة؛ إنما يرسم النص توجهات بعيدة، مليئة بالرموز والإشارات والإحالات الجمالية.

تطرح استذكارات "الربيعي" بداية كأهم منفذ ينفذ منه النص، ليقدم وجهة نظر هامة، لطبيعة البناء الفني للرواية، وإيصال الأفكار وطرحها للنقاش، من خلال استعادة وقائع الماضي النضالي، بكل آماله وآلامه. وطرح كل التناقضات الأساسية التي فرضتها المرحلة التاريخية.

وطبيعي جدا أن يطرح النص، بداية من خلال استذكارات "الربيعي"، نظرة المجتمع "للشهيد" وتضحياته في سبيل تحرير الوطن؛ إذ ينبغي ألا ترتبط نظرة المجتمع "للشهيد"، بمجرد منحة فصلية يتقضاها ذووه، لتطوى ذكراه بعد ذلك بمجرد طيها في الجيوب.« أنانيين، نرضى أن يتحول شهداؤنا الأعزاء إلى مجرد بطاقات في جيوبنا نستظهرها أمام مكتب المنح، مرة كل ثلاثة أشهر، ثم نطويها مع دريهمات في انتظار المنحة القادمة»(11).

هذا الموقف الإنساني ليس وليد الصدفة من منظور النص. حيث تم التعبير عنه، وفق ما يجب أن يكون عليه "الشهداء" من تقدير واعتزاز. وليس مجرد بطاقات تذر كل فصل منحة مالية ، بغرض الإعانة. وكان لزاما على جيل الاستقلال تذكر "الشهداء"، والاعتزاز بهم، والاعتبار بتضحياتهم، كفئة نضالية شعبية قدمت أرواحها في سبيل استقلال الوطن. وواضح جدا أن النص هنا، يقدم خلفية تاريخية للحال التي آلت إليها ذكرى "الشهداء" ، بعد الاستقلال وبداية ظهور الثروة وتحول النمط المعيشي للمجتمع، عما كان عليه من قبل.

مثل هذه المفاهيم كانت الفاتحة الأولية والهامة، من خلال ارتدادات "الربيعي" الاستذكارية، إلى وقائع ثورة التحرير، وإلى واقع "الشهداء"، الذين صاروا مجرد بطاقات استنفاعية في الجيوب، مع أن الواجب التاريخي يعطي الأحقية، في تكريم "الشهداء" وحفظ ذكراهم دائما. لذلك سمحت هذه الرؤية الفنية للنص بالانطلاق من أعماق ثورة التحرير، فجاء تصوير وقائعها من الداخل.

يتحول النص عن شخصية "الربيعي" إلى حياة الأبطال الجوهريين للثورة، الذين جسدوا الحلم الثوري، ومتابعتهم بشكل متواز، وأحيانا بشكل متقطع؛ علما أن شخصية "اللاز"، شخصية متفردة تشكل القواسم المحورية والمشتركة لكافة شخصيات الرواية. فهي شخصية عفوية وطائشة، وحسنة النية، تخطئ كثيرا وتتعطش للحرية.

وتتأسس شخصية "زيدان" كشخصية محورية أساسية على امتداد النص، تبنى عليها أكثرية أحداث الرواية. فهي شخصية ثورية ونموذجية في الالتزام بعقيدتها الإيديولوجية. ولا يعني الالتزام هنا، النمط السلبي في تمثل العقيدة الفكرية أو الإيديولوجية، إنما الالتزام هنا هو الفاعلية الإيجابية في تمثل العقيدة واقعيا. لأن التهاون الفكري « في ظل الظروف التي عاشها زيدان ورفاقه الأجانب الذين التحقوا بالثورة لقناعاتهم الثورية، يعني الخيانة بكل بساطة، مهما قنعت هذه الخيانة بمختلف الأشكال الثورية العاجزة عن الفعل»(12). ويقدم النص من خلال شخصية "زيدان" ورفاقه، نماذج القوى الطليعية التي تقدم على تفعيل العملية التاريخية تفعيلا كليا، وبأقصى ما يمكن تجسيده من الناحية الجمالية والفنية. وتدين في الآن ذاته القوى الرجعية المناقضة، التي تطمح لإبادة النظرية الثورية في أسسها العلمية، من خلال تصفية "زيدان" ورفاقه، واستبدالها بالفكر "الطوباوي"، الذي لا يتعامل مع الظواهر الاجتماعية والتاريخية، إلا من منظور السكونية والثبات. وهي القوى الرجعية ذاتها التي قامت بتصفية "زيدان" ورفاقه لفائدة الاستعمار الفرنسي، لأنها تدرك مسبقا، خطورة الإيديولوجيا التقدمية الاشتراكية، على القناعات والقيم الاستعمارية، التي تتبنى أنظمة الاستغلال والتفاوت الطبقي. « يقين أن الأحمر اللعين هو الذي يخطط لهم. تدرب في صفوفنا وتثقف في مدارسنا وسبقتنا إليه موسكو»(13).

إن وجود شخصية "زيدان" كما يطرحها النص، ضمن التطورات التاريخية للحركة الوطنية، يعني بوضوح غلق كل الأبواب أمام الاستعمار، وقيم البرجوازية الفرنسية خاصة، خلال الحقبة التاريخية للاستعمار الفرنسي في "الجزائر"، أو حتى بعد الاستقلال. لأن النضال الوطني التحرري، ليس بمعزل عن حركة البناء الوطني بعد الاستقلال. والتي كان بناء المجتمع الجزائري وفق النهج الاشتراكي هدفا لها. من هنا يتضح الحقد الذي أكنه الشيخ لـ"زيدان" ورفاقه، والذي أقبل على تصفيتهم، تحقيقا لطموحات برجوازية، أو أهداف استعمارية علمها أم لم يعلمها. وفي الآن ذاته كانت تصفية "زيدان" ورفاقه أمام أنظار "اللاز"، تصفية لطموحات فئات شعبية كبيرة، ومصادرة للقيم الإنسانية النبيلة.

وإن مثل موقف كهذا بالنسبة للاستعمار، نظرة تاريخية تدخل ضمن قيم البرجوازية الأوروبية. وهي تعرف تطوراتها التاريخية السريعة وقتها، فهو بالنسبة "للشيخ" يمثل طموحات طبقية، يسعى لتحقيقها في مرحلة ما بعد الاستقلال، والمنافسة على تكوين الثروة. لذلك مثلت استماتة "زيدان" ورفاقه في دفاعهم عن مبادئهم "الشيوعية"، الامتداد الطبيعي لقيم ثورة التحرير، التي آمنت منذ انطلاقها بأهمية كل القوى الوطنية، على اختلافها في سبيل الانتصار للقضية الوطنية. ويكون "زيدان" على مستوى رواية "اللاز" الشخصية السردية الوحيدة قضية الثورة الوطنية، برؤية علمية وموضوعية صحيحة. وربما هذا الموقف، هو ما جعل حياته فداء لتلك القناعات الإيديولوجية.

وقناعاته تلك كانت تستهدف بالدرجة الأولى، الطموحات البرجوازية الكبيرة، التي كان يعسى الشيخ هو وأمثاله لتحقيقها في "جزائر" الاستقلال. لذلك كان إصرار "زيدان" على أن الحركة الوطنية،« ينبغي أن تتبنى الصراع الطبقي من الآن. وإلا بقيت مجرد، حركة تحرر. الخطر، كل الخطر أن يحولها الاستعمار إلى صالحه، فيعلن عن انتهائها، ليخلف الوطن بين أيدي العملاء والصنائع»(14).

تمثل رؤية كهذه، أنموذجا حيا لتنبؤ "زيدان" ومخاوفه لما يمكن أن تؤول إليه "الجزائر" بعد كفاحها، من مصادرة ثورتها الشعبية، والاستيلاء على ثرواتها من لدن قوى داخلية موالية للاستعمار الفرنسي. وهذا التنبؤ هو نتاج تجارب "زيدان" مع القيادات الليبرالية التي كانت تهدف، إلى السيطرة على مسارات الثورة، واحتوائها من الداخل؛ بهدف ثنيها عن مسارها الشعبي. وربما كان هنا التلميح لضرورة وجود نخبة طليعية ناضجة، تقود المجتمع الجزائري بعد الاستقلال، نحو تحقيق أهداف البناء والتقدم. ولعل هذا ما كان مفتقدا، خلال سنوات ثورة التحرير، أين كانت اهتمامات القوى الوطنية، منصبة فقط على تحرير "الجزائر" من ربقة الاستعمار الفرنسي، دون التحسب لما يمكن أن يكون عليه مستقبل "الجزائر" فيما بعد. وواضح أن النخبة الوطنية التي قادت "الجزائر"، غداة الاستقلال لا ينقصها الوازع الوطني ، والإخلاص لقضايا الثورة؛ غير أن هذا لم ينفي وجود فئات بطموحات برجوازية، سعت لتحقيق رؤية طبقية استغلالية يكون عليها المجتمع الجزائري فيما بعد، عبر تفعيل أنظمة الاحتكار الفئوي، بغرض تحقيق الاستغلال المادي المفرد للثروة. لأن السمات التقدمية التي يمكن أن تتصف بها البرجوازية الوطنية، إضافة إلى الجوانب الرجعية التي يمكن أن تلازمها، والتي عادة ما تكون منبثقة عن نمطها الاستغلالي، تظهر بداية محتفظة بقوتها وأهميتها، لا خلال فترة الصراع من أجل التحرر فقط؛ بل حتى بعد استقلال البلدان التي استولت فيها البرجوازية الوطنية على الحكم، وصارت هي الأجهزة الحاكمة فيها.

وعن علاقات الصراع والتحولات التاريخية المصيرية، التي أثبتها النص؛ تبدو أنماط هذه العلاقات على درجة من الحدة، نتيجة تباين وجهات النظر على المستوى الإيديولوجي. حيث يبدو "الشيخ" متمسكا بتقاليد وأعراف اجتماعية ودينية يقرها المجتمع الجزائري، وهي ذاتها التقاليد التي شكلت المغزى الحضاري للمجتمع، وحددت طبيعة انتمائه. غير أن الإشكالية تبدو هنا، في حال تحول الدين، إلى إمكانية للتدجين الجماهيري، بدل إلى إمكانية للتحرر والانقلاب على أوضاع طبقية استغلالية. ونتيجة للانتشار الواسع الذي يعرفه الدين، كان لزاما على البرجوازية الحاكمة أن تأخذ بعين الاعتبار، هذه الخاصية الهامة، التي يتمتع بها الوازع الديني، دون سواه من الحساسيات الإيديولوجية الأخرى. وهذا ما شكل الهاجس الكبير لدى "الشيخ"، حول إن كان "زيدان" ، لا يزال شيوعيا أم لا؟..« المسؤول سألني في المرة الأخيرة، هل ما زلت شيوعيا أحمرا؟.. أفهمته بأن الشيوعية ليست رداء ننزعه في الوقت الذي نشاء وأنها عقيدة تقوم على الاقتناع المدرك للحياة»(15). هذا الكلام صادر عن "زيدان" في لقائه بـ"الشيخ" قبل تصفيته. وسؤال "الشيخ" لـ"زيدان" كان محددا، تبعا لما كان يريده، من جواب يبني عليه فيما بعد وجهة نظر، هي من صميم الانتماء الطبقي الذي يرغب في أن يكون ضمنه.

ومثل هذه التفاصيل ذات الإطار الإيديولوجي الصرف، تعكس الفترة التاريخية الصعبة، التي كانت تمر بها الثورة التحريرية، عندما بدأت تشهد تطورات جديدة للصراع، وصلت إلى حد التصفيات الجسدية، علما بأن تلك المرحلة التاريخية في حد ذاتها، كانت تتطلب تكتلا والتحاما نوعيين بين مختلف القوى الوطنية، من أجل تحقيق الاستقلال. ربما حاول النص من هذه الناحية، الكشف « عن رؤيته ووعيه من خلال رسم واقع محدد، هو واقع الصراع والنضال الذي كان يعيشه الشعب الجزائري وآثاره الإيجابية

والسلبية على مسار حركية المجتمع وتطوره؛ وهو بذلك يجسد وعيه العام. ذلك أن المبدع حينما يعيد تشكيل الواقع لا ينطلق من وعي فردي متعال، وإنما ينطلق من وعيه العام، وهو ما يجعل عمله عملا طليعيا لاحتوائه المضامين الاجتماعية والإنسانية على حد سواء»(16).

وفي الوقت الذي يشكل فيه موت "زيدان" ضرورة ملحة بالنسبة "للشيخ"، ليتمكن بعد ذلك من توجيه الثورة قبل نهايتها وفق طموحاته الطبقية. هذا يعني انعدام التوجيه العلمي والإيديولوجي، لمجتمع "الجزائر" بعد الاستقلال. مع أنه يمكن الالتقاء مع رؤية الشيخ، على الأقل في مرحلة الثورة التحريرية، من أجل تحقيق الهدف المنشود، للقوى الوطنية وهو الاستقلال. وهذا بحكم أن الشيخ هو الآخر، له هاجس تحقيق الاستقلال، وهو هدف يسعى من أجله. لكن أن يسقط "الشيخ" في حبائل التوجهات "الإمبريالية" تلك مشكلة حقيقية، من شأنها أن تجعل منه شخصية منتهية تاريخيا.« وضعي خاص، لو كنت أي شيوعي آخر، لقضى علي دون استشارة أحد. أكد على ذلك مرارا وكأنما يهددني، ولست أدري ما أثرت فيه بتأكيدي إن العمل العاجل أمامنا هو القضاء على العدو المستعمر أولا، وبعد ذلك ننصرف إلى شؤوننا»(17).

إن الطرح الذي قدمه "زيدان" هنا، على درجة من الأهمية، كونه طرحا يتجاوز حدود "الآنية". ولا يعترف بالحدود الشخصية الضيقة، أو الخلافات التي من شأنها تحجيم قيمة وأهمية العمل الثوري التحرري. كان الأولى ترك الخلافات الطبقية والإيديولوجية جانبا، إلى غاية تحرير البلاد من المستعمر، ثم التفرغ بعد ذلك، لتصفية الخلافات الإيديولوجية والعقيدية بطرق حضارية. لذلك يكون "زيدان" مجبرا على خوض حرب عميقة على جبهتين، الأولى متعلقة بتصفية الاستعمار الفرنسي في البلاد. والثانية ضد معتقدات "الشيخ" "الطوباوية"، التي تكرس معاني القدرية والإقصاء والتخلف في كل الأحوال.

ويجسد نص الرواية بدقة كبيرة، وبموضوعية أنماط المواقف الاجتماعية، وطبيعة تفاوت الاستجابات وتباين الأوضاع، على الرغم من المعاناة المشتركة للفئات الشعبية الجزائرية، من واقع طبقي متعفن، أوجدته الطبقة الكولونيالية، برؤاها الرأسمالية الاستغلالية. ومشحون بالحقد والثورة عليه أيضا. وقد عكست الرواية قيمة الإنسان الجزائري كفرد، له مواقفه الإيجابية والتأثيرية إزاء وجوده التاريخي والاجتماعي، وإزاء جدلية التغيير المتبادل بين الثورة كفعل وطني والإنسان في علاقته بالثورة. ووعي النص بفاعلية الشخصية الإنسانية والجدلية، وعلاقتها بالواقع وبالوجود، هو الأساس المحوري لرؤية النص الثورية للعالم وجدلية تطوره.

توصل النص بإمكانيات فنية جيدة، وبتجارب سردية مميزة وصادقة، وبرؤية تصويرية جمالية عالية وجديدة على الرواية الجزائرية الحديثة، من تصوير طبيعة وأنماط العلاقات الاجتماعية القائمة، بين الإنسان الجزائري، وطبيعة سياقاته التاريخية والاجتماعية ضمن أطرها المادية الصرفة. كما تميزت رؤية النص بموضوعية فعلية، من خلال هموم وانشغالات "زيدان" المحورية، بمختلف أبعادها حتى في لحظات ضعفه الطبيعية. وتتمثل موضوعية النص في التصوير الواقعي الدقيق، الذي جعل من الرواية تنحو منحى ثوريا و ملحميا.

لذلك فصورة الإنسان في رواية "اللاز"، لا تتمثل في كونها صورة تدل على محيط إنساني فقط؛ لأن الإنسان يمثل المحور الفعلي لعملية التطور التاريخي والاجتماعي. وأهم القوى المحركة لعملية التطور التاريخي المستمر. وفق هذا فالإنسان يؤثر تأثيرا عميقا في التاريخ ومحيطه الاجتماعي، محولا إياهما إلى مجال من العلاقات الحيوية القابلة للصراع، نتيجة عوامل التناقض القائمة في الحياة، والظروف التاريخية التي تميزها.

من هنا كانت الصراعات المميزة لطبيعة الحياة الواقعية، بكافة تناقضاتها منعكسة بصورة موضوعية في رواية "اللاز". ولا تبدو عوامل التناقض والصراع من خلال شخصية "زيدان"، المندمجة ضمن أطر المعطى التاريخي والحياة الاجتماعية القائمة. أو حتى من خلال طبيعة البنى الطبقية التي يشكل "الشيخ" أحد محاورها الأساسية؛ إنما أيضا من خلال العلاقات القائمة بين الشخصيات. وتصوراتها عن الحياة، ونظرتها للواجب التاريخي والالتزامات الأساسية، التي يفرضها المعطى التاريخي القائم.

تمكن النص من خلال شخصية "زيدان"، من تحديد أنماط القوى الاجتماعية الأساسية، التي شكلت الأدوار الهامة، في النضال التاريخي الوطني خلال الثورة، وتحديد طبيعة وعيها الاجتماعي أيضا. لذا فالقيمة الفنية لمثل هذه الشخصيات المحورية في النص، لا تتحدد في قيمة وطبيعة الدور التاريخي الذي تؤديه فحسب، إنما تتحدد كذلك من خلال إمكانيات النص الفنية وقدرته على تحديد الملامح المعنوية والإيديولوجية وحتى الفكرية، لتلك الشخصيات الرئيسة. وهذا يعكس حتما قدرة النص، على تمثل الموضوع الأساسي الذي يتضمنه. وهذا يتطلب من جانب آخر، القدرة الكاملة على تمثل الواقع المعاش مسبقا.

يوصل النص القارئ من خلال التحديدات الأساسية، التي وضعها لشخصية "الشيخ"، وشخصية "زيدان"، إلى نتيجة حتمية مفادها، « أن الذي يحدد وجهة الثورة، ليست القوى المرتبطة بالماضي الاقطاعي، وليست القوى المرتبطة بالاستعمار، بل على العكس من ذلك، فالذين يبنون المستقبل، هم الفقراء، الذين يناضلون من أجل تجسيد هذا المستقبل الذي تحاول الرجعية تشويهه»(18). إلا أن الدور الهام لهؤلاء الفقراء الذين ينتمون للفئات البسيطة من أبناء الشعب، أمثال "زيدان"، "حمو"، "اللاز"، "مريانة"، "بعطوش"،... وغيرهم من شخوص النص، يمكن أن يشكل عقبة كؤود أمام طموحات "الشيخ" وأمثاله. مثل هذه الشخصيات، هي في واقعها المادي شخصيات معدمة، لا تملك شيئا من متاع الحياة، غير أرواحها التي تناضل بها، من أجل قناعاتها الفطرية والإيديولوجية. ولا ترتبط بالماضي، لأن واقعها ملئ بالصراعات المختلفة، التي تصل حد التناقض والتعقيد، لأنها شخصيات فقدت كل شيء، ولم تعد تخشى أي شيء.

« حدث قدور نفسه، ثم تساءل:

-ياحمو، من منا تغير؟

-لا أنا ولا أنت. الظروف تغيرت. أنا فقير جدا. أقل من فقير، وأنت متوسط الحال، بل غني. دكانكم يعمر شيئا فشيئا، وأرضكم، صرتم تفلحونها وحدكم، بعد مدة تشترون شاحنة، وبعد مدة أخرى تشترون جرارا، وتكبرون وتكبرون حتى لا يبقى في إمكانكم تمييز من تحتكم.. نحن لا شيء يربطنا بالماضي، وأنتم لا شيء يدفعكم إلى المستقبل. ولم يبق بيننا إلا رابط واحد، هو الحاضر، هذا الحاضر الذي أتعاون وزيدان أخي

وكل الفقراء على صنعه، والذي تريدون أنتم أن تبقوا متفرجين عليه.. بعضكم تفرج والبعض الآخر يعمل على عرقلته وهدمه. يا ابن عمي، في حين أنا غاطس، أنت متردد»(19).

هذه هي شخصية "حمو" "الحمامجي" التي يعلن عنها النص، بشكل أكثر تعقيدا، نتيجة ما تعانيه من تجاوزات وحيف اجتماعي. فما يقوله "حمو" لـ"قدور" يمثل حالة وعي من الانفصال الطبقي بين الاثنين. "قدور" يكون متفرجا على الوضع ومتردد في الآن نفسه، ويعمل على عرقلة إمكانات تغيير الوضع القائم. فهو بذلك يمثل البرجوازية الجزائرية الصغيرة، التي عمل الاستعمار الفرنسي باستمرار على إيجادها، خلال عقود تواجده في "الجزائر". و"حمو" مندرج في عملية الصراع التاريخي والاجتماعي، شأنه شأن أخيه "زيدان" وسائر الفقراء. ويعملون باستمرار على تغيير الوضع القائم.

ذلك هو الوعي الطبقي الذي تميز به "حمو"، من خلال شخصية غلبت عليها ظروف الواقع الاجتماعي المعقدة، والتي شحذتها مختلف الظروف الحياتية والتجارب الاجتماعية الصعبة. وتمكنت من تحديد تصوراتها الطبقية إزاء طبيعة وأنماط البرجوازية الجزائرية الصغيرة، التي يمثلها "قدور" في النص برؤية علمية بسيطة، لكنها أكثر موضوعية وواقعية. فـ"قدور" لا يهتم بقيمة وأهمية التطور التاريخي للمستقبل. هذا التطور الذي تصنعه وتبنيه القوى الوطنية العاملة، من أجل تحقيق الاستقلال الوطني آنذاك. وفي هذه الحال هو أنموذج للبرجوازية الجزائرية الصغيرة، والتي في حال استمراره ضمن قناعاتها التي تمثلها أسرته، فإنه في هذه الحال، سيفقد حتما قيمته كبرجوازي صغير، ويفقد كذلك أساليب التطور والتحول التي تصنعهما التحولات المستمرة للتاريخ. غير أن تطورات الأحداث السردية في النص، تحمله إلى آفاق الخلاص من الحلقات المفرغة، التي صنعتها القناعات الاستغلالية، التي كانت تحكم خناقها الطبقي عليه. وتحيط قناعاته التاريخية، التي قد تحمله إلى حد السقوط في حبائل قيم "الإمبريالية" الرأسمالية.

على الرغم مما تحمله البرجوازية الصغيرة، من ظروف التحول في البدايات الأولى لنموها وتطورها، فهي لا تتردد مطلقا في ممارسة أحلامها ولو كانت "شوفينية" إلى حد ما. والذي أنقذ "قدور" من حبائل تلك البرجوازية، هو تمرده على واقعه الطبقي أولا، ثم اتصافه بالروح الثورية التي تحلى بها، والتي فسرها انضمامه للكفاح في صفوف "جبهة التحرير الوطني". وهذا ما جعل الكثير من مفاهيمه السابقة، عن الواقع والحياة تتغير بسرعة. مما جعله يكون "شهيدا" في سبيل القضية الوطنية، بكل ما يحمله من قناعة في سبيل الحرية، والتغيير التاريخي والاجتماعي.

وضمن هذه الأحداث التاريخية المتراكمة، والتي جعلت تعرف تطورات مستمرة وصلت إلى حد التعقيد، شخصية "قدور" شخصية نامية، تنتمي للبرجوازية الجزائرية الصغيرة، التي لا تهتم كيف تتحول من واقعها السلبي، إلى شخصية متعاطية مع القيم الثورية والنضال، وواعية أيضا بالشرط التاريخي الذي فرضته التحولات التاريخية والاجتماعية الجديدة.

يفسر هذا طبيعة أساليب التعبير في الواقعية الاشتراكية، والتي غالبا ما تتميز بقوة غير محدودة، لتمكين مختلف النماذج البشرية في النص، من تحديد مواقفها التاريخية، والتعبير عن وعيها وأوضاعها، من منظور واقعها الطبقي المعاش. فالواقعية الاشتراكية باعتبارها رؤية فنية وفكرية تعكس حركة وتوجهات

الجماهير الشعبية. وتعتبر الشعب كقوة طليعية خلاقة، توجه الأحداث التاريخية،« تكتسب بالضرورة السمات المميزة لديمقراطية رفيعة، ولهذا فهي تتناول بوصفها فنا ثوريا حقيقيا الظواهر التقدمية الجديدة، التي تتجلى في وعي الجماهير الشعبية ووعي العامل»(20).

ولو كانت رواية "اللاز" غير النص الروائي، الملتزم بالخصائص الجمالية للواقعية الاشتراكية، التي تمكن من التعامل مع حيثيات الواقع، بمنظور علمي وموضوعي، لما تمكنت من الكشف بواقعية سليمة، عن الوجه الإنساني لشخصية "زيدان" الثورية. ولما تمكنت أيضا من تمثل، أبعاد شخصية "اللاز" الرمزية، بكل تلك القوة والجمالية الفنية.

5.الشخصية السردية.. التحول والنمو:

مثلت شخصية "اللاز" في النهاية الشعب الجزائري، بشرائحه الاجتماعية البسيطة، والذي سيرث بعد وقت آلام أبيه "زيدان" ورفاقه الذين ذهبوا ضحية التصفيات الجسدية، مؤثرين بقاء قناعاتهم الإيديولوجية والثورية إلى الأبد، وهنا تكمن قيمتهم وأهميتهم التاريخية.

شخصية "اللاز" تتراءى بداية كشخصية طفولية نزقة، ومع ذلك فـ"اللاز" هو المجسد لذاكرة وأحلام الشعب الجزائري، وقيم ثورة التحرير التي لا تمحوها صروف الزمن. و"اللاز" يظهر وفق هذا الشكل، ويبقى بكامل زخمه الثوري الذي تحمله ذاكرته. وهو بهذا يمثل التواصل التاريخي، والرؤية الثورية التي ستقول كلمتها حين تحين اللحظة التاريخية الحاسمة.

ومع أن شخصية "اللاز" ليست شخصية ذات وعي ناضج، وربما تفتقد للوعي في الكثير من المواطن، فهذا يجسد قدرات النص الإبداعية، على صنع شخصية ثورية، بدأت مع بداية الثورة التحريرية، وتعرضت لكل ما تعرضت له الثورة من مصاعب، ثم وجدت نفسها منغمسة بشكل كلي، مع كل تطورات الثورة. وتلك هي العلاقة الجدلية التي تجمع شخصية "اللاز" بالثورة التي يصنعها، مع أنه لا يملك إمكانات التحكم في دواليبها، لأنها خارجة عن الوعي التاريخي لـ"اللاز". وهي الثورة التي تصنع "اللاز"، وتعيد إنتاجه وفق آليات التطور الجديدة، وبكل ما تحمله التغيرات من مفارقات وتناقضات.

فكل لحظة تمر على الثورة التحريرية، هي جزء هام من حياة "اللاز" و من وعيه الذي صار يتجدد، مع تطور الواقع الثوري. والذي جعل من أعمال "اللاز" الطائشة، تتطور لتصير أعمالا ثورية منظمة.

أحب "اللاز" "زيدانا" لا لأنه والده فحسب، إنما أحبه لحكمته وذكائه، ونبل أخلاقه الثورية، التي صارت أعمالا منتجة ومنظمة في الآن ذاته. ليفهم "اللاز" مع تطور وعيه التاريخي والاجتماعي، وتطور تجاربه في الحياة، بأن العمل الثوري المنظم، أفضل وأهم بكثير من الطيش والسخط، اللذان غالبا ما يسقطان في اللعبة الاستعمارية. والتطور الذي عرفته شخصية "اللاز" على امتداد النص، جعلت منها شخصية تعي، بدافع الاحتكاك بالعمل الثوري، أن الثورة القائمة هي ثورة شعب بكامله، وأنه من الأصلح الوصول إلى تحديد قناعات أساسية، تمثل على وجه الخصوص، الاقتناع بالدور الطليعي للاشتراكية، كرؤية نموذجية لبناء المجتمع الجزائري الجديد. وحل مختلف المشاكل الاجتماعية، التي يمكن أن تواجه أبنائه فيما بعد. غير أن "اللاز" وبقية رفاقه الذين معه، أجبروا على عيش لحظات تاريخية استثنائية، لم تمكنه من التطور

الطبيعي المنشود. لأن زمن "اللاز" هو زمن الصراع الفعلي، من أجل تحقيق معطيات حضارية، قوامها الانتصار لحياة اقتصادية مادية بنمط جديد. وحتما الإنسان زمن الحرب، ليس هو ذاته قبل الحرب أو بعدها؛ أكيد ستكون هناك تغيرات حتمية. والوصول لتحقيق أهداف الثورة التي كانت حلم الشعب الجزائري، أو على الأقل ما كان الشعب يطمح للوصول إليه، « دلالة أخرى على أن اللاز لم يكن كتلة جامدة، ولم يطرح داخل هذه الرواية جاهزا خاضعا لنمطية أدبية معينة»(21). لذلك لم يكن بمحض الصدفة، أن توسم الرواية بعنوان لاسم شخصية رئيسة و هي "اللاز"، مع أن هناك شخصية رئيسة أخرى، أكثر حضورا منها، وأكثر تأثيرا في الأحداث، وهي شخصية "زيدان". هذه الرؤية الفنية الجمالية، في تطور وعي شخصية "اللاز" قابلها في النهاية، تحجيم أفعاله التي كان يقوم بها. لم يتطور "اللاز" ولم ينم كما ينبغي له النمو، كفرد من أبناء الشعب، نتيجة لظروفه الخاصة، التي كان يعيشها رفقة والده "زيدان" أيام الثورة. ولم تتمكن ثورة التحرير، رغم شيوعها وانتشارها، من تحديد منظورها الطبقي وأن يكون هذا المنظور، هو المحرك لعلاقات الصراع التي كانت تخوضها. وهذا ما كان يبدو من موقف النص صراحة،« هذه الحركة ينبغي أن تبنى على الصراع الطبقي من الآن»(22).

يفهم القارئ بداية، أن "اللاز" إذا ما خضع لظروف التطور الطبيعي، ينتهي حتما إلى قناعات والده "زيدان". وتظهر تساؤلات "اللاز" هذا التوقع « أبي المسكين.. الأحمر.. ترى لماذا هو أحمر لأنه يشتغل بالسياسة ويحقد على الأغنياء وأبنائهم المأفونين وبناتهم العاهرات. آه لو كنت أحسن القراءة مثل أبي، لكنت أحمرا بحق»(23). يبرز الأنموذج علاقة أبوية قوية بين الابن وأبيه، غير أن ما يبرز بقوة هو رغبة "اللاز" في الفهم، لماذا والده صار شيوعيا؟.. يقتصر فهم "اللاز" على منظور بسيط جدا، في الدواعي التي جعلت من والده شيوعيا، وهي كرهه للأغنياء وأبنائهم وبناتهم. بحكم أن الفوارق الطبقية في المجتمع، تصنعها العوامل الاقتصادية والمادية الصرفة. لذلك فالغنى والفقر، هما معيار التفاوت الطبقي في نظر "اللاز". هذا مظهر هام جدا، من مظاهر الاقتناع بالإيديولوجية "الماركسية". غير أن الأهم هو الوعي المطلق ، بقيمة الفلسفة الماركسية الفكرية وأهميتها في الحياة الإنسانية. لذلك لم يتجاوز وعي "اللاز" حدود السذاجة والبساطة الشعبية. هذه العفوية لا تتعارض مع التطور الذي من المفترض، أن تعرفه شخصية "اللاز". لأن الواقع الطبقي، كان بإمكانه قيادة "اللاز" مستقبلا نحو تحقيق القناعات الإيديولوجية التي كانت محل تساؤلاته.

هذه العوامل جميعا، من شأنها الإسهام في ولادة شخصية "لاز" جديدة، وهي الشخصية التي تمثل الأنموذج الواقعي للشعب ككل، الذي يطمح للانتصار في ثورته.

لا تمثل شخصية "اللاز" الشعب الجزائري المتجانس، بطموحاته ومختلف أطيافه وتوجهاته؛ إنما كانت الأنموذج الواقعي للتناقضات التاريخية والاجتماعية وحتى النفسية، التي كان يعيشها الشعب، خلال مرحلة تاريخية هامة. والتوجه نحو الاستقلال والبناء والتقدم، ليس من السهولة بمكان، إنما يقتضي الأمر استغلال التوجهات الثورية العفوية البسيطة، وجعلها طاقة واعية، وقادرة على إحداث التغيير، والاستجابة للشروط التاريخية القائمة. لأن الفقر الذي كان يعيشه "اللاز" « لا ينتهي إلى طبقة محددة بمفهومها الإنتاجي، وإنما هو نموذج لكل الفئات الجماهيرية التحتية التي تعاني مغبة الاضطهاد والقهر الاجتماعي. إنه

الصورة الكلية المصغرة للشعب الجزائري»(24)، كما يحدد ذلك النص، عبر أبعاده الرمزية. أو ما يقوله "زيدان": « اللاز؟؟ آه يا ابن خطيئتي وزناي.. وجدنا أنفسنا في الغابة كآدم وحواء، وحيدين، لم يكن في وسعنا إلا أن نبيت ملتصقين.. كان الفصل خريفا وكان الصقيع ينزل بعد الظهر.. فأنجبناك، شرارة طائشة، ولعنة صارخة.. فيك بذور كل هؤلاء يا اللاز.. بذور كل الحياة. .كالبحر.. لا لأنك الشعب برمته، الشعب المطلق بكل المفاهيم»(25). ربما رأي "زيدان" هنا، يحدد طبيعة الرمزية العميقة، التي مثلتها شخصية "اللاز"، كونها الشخصية المتناقضة التي مثلت ، اللفيف غير المتجانس للشعب الجزائري، خلال مرحلة تاريخية معينة، غير أنه قابل للتطور لأداء دوره التاريخي المنوط به.

عفوية الحديث في رواية "اللاز"، تجعل من الشخصيات العاملة على مستواها، أقرب ما تكون من الحقيقة الاجتماعية، لما تملكه من حس طبقي تاريخي، ودون وعي منها. غير أن هذا الحس يتطور لدى شخصيات الرواية على مستوى الواقع الذي تحياه وتعيشه بكافة تناقضاته، التي تصل أحيانا إلى حد التعقيد.

لم يكن الوعي التاريخي مفروضا على شخصيات الرواية، من لدن جهة خارجية معينة، إنما على العكس من ذلك؛ فشخصيات الرواية تمارس قناعاتها التاريخية، تبعا لتطورات الحدث الروائي، بشكل ينسجم إلى حد بعيد مع نمط تركيبتها الطبقية والثقافية. وتصل في النهاية إلى الانشغالات المنطقية، التي كانت تراود "اللاز" على امتداد الرواية. وفي الوقت الذي كان "اللاز" ينتظر الإجابة عن انشغالاته المطروحة، كان والده "زيدان" والرفاق الذين معه، يعدمون أمام ناظريه، لأنهم رفضوا التراجع عن قناعاتهم الإيديولوجية والتاريخية.

وأكثرية شخصيات الرواية، عندما يصلون إلى اللحظة التاريخية التي تمكنهم من ملامسة الواقع عن قرب، وطرح البديل التاريخي بطريقة عفوية، والمنسجم مع طبيعة الوجود الاجتماعي للفئات الشعبية، ينتابهم التردد والخوف القديم المتكررين، وينكفئون على أنفسهم ليصيروا بعد ذلك بطاقات ، وبفاعليات تاريخية واجتماعية محدودة. وهذا جوهر اختلافهم مع "زيدان"، الذي تمكن من تجاوز كل سلبيات الواقع، وما يشوبه من تناقضات.« لا فرق.. نقاتل جنبا إلى جنب، ونتحمل نفس المشاق، ننظر إلى العدو، نظرة واحدة.. فقط زيدان يفكر أحسن مني، أحسن منا جميعا.. آراؤه دائما صائبة، وأحكامه سليمة، وتنبؤاته صادقة.. ربما السبب في ذلك أنه متعلم بينما أنا أمي.. معنا بعض المتعلمين مثله. ولكنه يفكر أحسن منهم.. إذا كان هذا، لأنه أحمر، فيجب أن نحمر كلنا، يجب أن تحمر هذه الثورة كلها لتفكر تفكيرا سليما وتصدر أحكاما صحيحة.

ترى هل الشيوعية شيء محرم مثل الخمر والزنى، والسرقة والخيانة؟.. حسبما أكده المسؤول الكبير، فإنها أكثر من كل هذه المحرمات»(26).

يبدو الحديث الذي يقوله "حمو" في الأنموذج عفويا إلى حد بعيد. فهو يحمل تساؤلا مهما، وانشغالات هي من صميم واقعه الوجودي، رغم محدودية تفكيره. وهذا يثبت بوضوح صدقة الثوري، الذي هو نتاج وجوده الاجتماعي.

والعفوية التي اتصف بها "حمو" وسائر شخصيات الرواية، تثبت أصالة رواية "اللاز" وصدقها الفني. كما مثلت شكلا من أشكال الوعي التاريخي، الذي يعتمد تفاصيل الحياة الواقعية والملاحظات الصغيرة، في واقع يتغير بسرعة مستمرة.

ف"حمو" على بساطته وعفويته تمكن من رسم صورة نموذجية، مثلت رفض الحياة القائمة. كما قدمت تصورا عميقا نوعا ما، لعلاقة المثقفين والمتعلمين بالثورة التحريرية، وكيف يتصورونها من خلال شخصية "زيدان" التي مثلت أنموذجا له. حيث صار يفرق بين متعلم، تهمه الثورة التحريرية كقضية وطنية، ومثقف عفوي تشكل الثورة بالنسبة له، جزء من كيانه وواقعه التاريخي، « لا كمجرد أحداث ووقائع تؤدي إلى الاستقلال في النهاية، ولكن كتاريخ صراع ضد الاستعمار، وصراع طبقي يؤدي إلى قهر الاستعمار ورموزه البورجوازية الجزائرية التي خلقها لخدمة مصالحه»(27). وشخصية "زيدان" تشكل خاصية أساسية، لاكتشاف طبيعة الواقع المحيط بشخصيات الرواية، كلما تعمق الحدث الروائي أكثر. وجدية النص، وسعيه من أجل خلق شكل تعبيري، في مستوى الموضوعات الجمالية المطروحة، مكناه من خلق فضاء تعبيري أكثر جمالية، لاستيعاب مختلف التناقضات القائمة، على المستوى الواقع التاريخي.

وهذا من طبيعة الأشكال أو التجارب الروائية، التي ينبغي عليها أن تعرف المزيد من التطور، والاستجابة للتحولات، كي تحافظ على حياتها. لأن الرواية تتطور بحركة جدلية مستمرة، توازي الحركة الاجتماعية المتغيرة والدائمة.

فشخصية محورية بحجم "زيدان" كأنموذج روائي ناجح، تمكنت من التموقع ضمن الخطاب الروائي، في مواقع ذات أهمية تاريخية، فهي بذلك تنجز « تعبيرا كاملا عن شخصها المتعدد الجوانب وكاملا، ولكن ليس إلا بقدر ما هي مرتبطة بأحداث التاريخ الكبيرة»(28).

فشخصيات مثل: "اللاز"، "حمو"، "قدور"، هي شخصيات تخييلية شكلت جزءا هاما لشخصية "زيدان" في وعيها الثوري والمثالي. وحتى "بعطوش" كشخصية مرتزقة بداية، سرعان ما يستيقظ فيه وعيه الطبقي، بعدما قام به من أفعال، يمجها الذوق الإنساني، لتبقى أفعاله تلك هاجسا نفسيا لديه، يؤرقه باستمرار، تبعا لضميره الذي استيقظ على وضعه الطبقي البائس، ليبقى يردد عبر كافة مساحة الخطاب السردي (خالتي يا ربي سيدي). وفور استفاقته يدرك بموضوعية واقعية، تفاهته أمام شخصيات محورية مميزة، بحجم شخصية "زيدان". فيقدم على قتل الضابط الفرنسي، ويهرب كافة المساجين، ويحرق الثكنة، كما يحرق تفاهة ماضيه القريب. ويهرب إلى الغابة، وهروبه ذاك، هو عودة إلى أصله الطبيعي، وتبوئه لدوره التاريخي الإيجابي، الذي ينبغي عليه القيام به.

يلاحظ القارئ على مستوى الخطاب السردي، أن أكثرية شخصيات الرواية، تأمل في أن تكون شخصيات نموذجية كشخصية "زيدان"، الإنسان الثوري الملتزم، والمؤمن بعدالة القضية الوطنية. فهذه الشخصيات في نضالاتها اليومية تتكون، وتعرف المزيد عن طبيعة واقعها التاريخي، وتأمل أيضا في الوصول، إلى ما وصلت إليه شخصية "زيدان" في وعيها النموذجي؛ الشخصية التي فضلت تقديم حياتها فداء لمبادئها وقيمها التقدمية، والتزامات الحزب، حين شاهدت رفاقها يتساقطون واحدا تلو الآخر.

«- ليس لي اتخاذ أي موقف شخصي في مسائل تعود إلى الحزب، يجب أن تعلم هذا عن الشيوعي يا الشيخ.

لكن الكلمات هربت من بين شفتيه، وظل يحدق في الفراغ، قبل أن يغمض عينيه ويغيب عن كل ما حوله، ويسقط على وجهه.

-ألحقوه بالكفار»(29).

تفسر مثل هذه اللحظات الحاسمة، من حياة الإنسان طبيعة الاستماتة من أجل الانتصار، لقناعات إيديولوجية معينة، هي من صميم الواقع الثوري الذي كانت تعيشه الثورة التحريرية وقتها. ومثل هذه التضحيات، تعكس الإدراك الموضوعي السليم، بطبيعة التحولات التاريخية التي كانت تشكل المراحل الحاسمة في تطور الحركة الوطنية في "الجزائر". وإن اقتضى الأمر خلافا إيديولوجيا أو حتى عقيديا، فهذا لا يفسر ما يمكن أن تواجهه الثورة، من تهديد لوحدتها، ما دامت كافة أطياف الحركة الوطنية، مجتمعة على هدف واحد، هو القضاء نهائيا على الاستعمار الفرنسي في البلاد.

لذلك فزمن الصراع الذي كانت تعيشه شخصيات الرواية، مثل شخصية "زيدان" مثلا، يمثل لحظة الفعل المنتج للإنسان عندما يتحول من وضع إلى وضع آخر، يتخلى فيه عن الماضي، ويطمح إلى مستقبل جديد يؤسسه الماضي، برؤية أكثر تطورا وحركية.

يفهم جيدا من خلال قراءة الرواية، أنها استفادت كثيرا من المنجز الروائي العالمي الحديث، لاسيما على مستوى الأدوات الفنية الحديثة. فقد أفادت كثيرا رواية "اللاز"، من تقنيات التحكم في الزمن السردي بشكل عام. فالقارئ وهو يتابع أحداث النص، لا يلمس فيه ذلك الزمن التقليدي الممتد باستقامة رتيبة؛ إنما تميز الزمن بميزة التداخل والتشابك، حيث يمكن للقارئ متابعة مختلف أحداث الرواية، دون ملاحظة أي اختلال في البنية الزمنية للنص.

ف"الاستذكار" الذي بنيت عليه الرواية بكاملها، أسهم في كشف أكثرية المواقف المثيرة على مستواها. كما أثرى الخلفية التاريخية للنص، بشكل مكن من فهم طبيعة التوجهات الإيديولوجية المتعلقة به. ونجاح "الاستذكار" يكمن ، في استثمار النص له وفق طبيعة الوقائع التي حدثت في الماضي. فقد كان أداة طيعة للرواية، منحت خصوصية تعبيرية للنص أكثر فنية. واستيعاب "الاستذكار" للماضي، « تتم بمنطق القبض عليه، لتوجيهه في خدمة الحاضر»(30).

وقد تم توظيف "الاستذكار" في رواية "اللاز" كتقنية تعبيرية، إيصالية، قابلة للتشكل والتطور، ليس من أجل كشف طبيعة الحياة النفسية الممزقة والمتشائمة، كما هو الحال في العالم الرأسمالي الغربي، أو على مستوى الرواية الغربية، ولكن من أجل إثراء الحاضر، عبر المحطات المشرقة، من خلال ما يسهم به الماضي، ورسم الآمال والطموحات، وتجسيد الأحداث الدرامية التي عاشها الشعب الجزائري، خلال الثورة التحريرية، التي أنتجت زخما ثوريا عالميا مميزا. وساعد ذلك على خلق رؤية فنية داخلية، متماسكة داخل رواية "اللاز"، تبدو للقارئ على درجة كبيرة من النضج والاحترافية.

هذه النزعة التفاؤلية، التي صاحبت المضامين الموضوعاتية للرواية، إلى جانب الأبعاد الجمالية التي ميزتها، انعكست بشكل واضح على نمط الصورة الفنية، التي شكلت جزءا كبيرا من البناء الفني الخاص بها.

تميزت رواية "اللاز" باهتمام كبير بعناصر التراث الشعبي، المحلي منه على وجه الخصوص. الشئ الذي مكنها من أن تتبوأ مكانتها كرواية تراثية، تستجيب للمعطى التاريخي الذي منحها شروط وجودها، كملحمة شعبية واسعة الانتشار، من خلال شخصيات فنية أكثر بساطة وأعمق شعبية. تتصرف وفق ما تمليه عليها حياتها الواقعية وقناعاتها الملتزمة. فقد تمكن النص، من خلال توظيف التراث الشعبي، من ملامسة أكثر اللحظات الإنسانية حساسية، وإرفاقها بالأمثال الشعبية، والحكايات الشعبية التراثية المحلية، وغيرها من الإمكانات الفنية الأخرى المتاحة.

«- والله يا ابن عمي، ما يبقى في الوادي غير حجاره.

ويتساءل قدور، في سذاجة عن حجارة الوادي التي يعنيها حمو، فيجيبه:

-الصح، الصح، ما يبقى في البلاد غير الصح»(31).

يمثل الحوار الذي دار بين "حمو" و "قدور" الابعاد التاريخية والاجتماعية، التي يتضمنها المثل الشعبي، الذي هو صادر من الروح العميقة للشعب الجزائري، وفق ما يجسده "حمو" ببساطته وعفويته، كسائر أبناء الشعب الجزائري الفقراء والبسطاء. حيث تظهر قيمة وأهمية المثل الشعبي الجزائري بوضوح، في لحظات الإحباط والانتصار التي يعيشها الشعب الجزائري، بحاسته الطبقية وخياراته التاريخية الحاسمة. هذه اللحظات الهامة والمشرقة للمثل الشعبي، والموروث التراثي الجزائري ككل، لا يمكن كشفها وتفعيلها، إلا من لدن النص الروائي الملتزم بالرؤية الإيديولوجية المتفائلة. والواعي بطبيعة شروطه التاريخية، التي تملي عليه المزيد من الوعي والالتزام. من هنا ارتبط المثل الشعبي الجزائري (ما يبقى في الوادي غير حجاره)، بأعماق الشعب الجزائري أولا ، لأن الذات الشعبية الجزائرية الأصيلة، كانت بحاجة ماسة لمثل تلك الوسيلة الشعبية، للتعبير عن رؤيتها الطبقية الملتزمة، وفق ما تمليه التحولات الجدلية المستمرة، للتاريخ والواقع الاجتماعي؛ ثم بالنص ثانيا، الذي منحه رؤية فنية، لتطوير وتحيين خلفية تراثية هامة، مكنت من إبراز مختلف الأدوار الطبقية والتاريخية للرواية، كآلية تعبيرية وتواصلية، تسعى لإحداث التغيير التاريخي المطلوب.

الهوامش:

1- واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، -بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية-، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر، الطبعة الأولى 1986، ص:487

2-سامي خرطبيل: الرواية عند لوكاتش –سلسلة دراسات عربية-، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، العدد الأول نوفمبر(تشرين الثاني) 1980، ص:141

3- غالي شكري: الرواية العربية في رحلة العذاب، دار عالم الكتب للنشر، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى 1971، ص:14

4- ينظر في ذلك واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص:489

5- الطاهر وطار: العشق والموت في الزمن الحراشي(الكتاب الثاني للاز)، المؤسسة الوطنية للكتاب، -الجزائر، الطبعة الأولى 1985، ص: 141/140

6- رواية للكاتب الجزائري الطاهر وطار، من منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع –الجزائر، 1986

7- رواية للكاتب الجزائري الطاهر وطار، من منشورات المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر، 1986.

8- أحمد إبراهيم الهواري: نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر، دار المعارف، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى 1978، ص:240

9- جودت الركابي: قصة اللاز للطاهر وطار –دراسة تحليلية-، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والإعلام –الجزائر، العدد 33، جويلية 1976، ص:83

10- سيرغي بتروف: الواقعية الاشتراكية، منهجا واتجاها، -عدد خاص بالواقعية، مجلة الموقف الأدبي ،دمشق –سوريا، العدد 85 ماي (آيار)، 1978، ص:105

11- الطاهر وطار: اللاز –رواية-، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، -الجزائر، الطبعة الثالثة، 1981، ص:13

12- واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص:498

13- الطاهر وطار: اللاز –رواية-، ص:84

14- المصدر نفسه، ص:162

15- المصدر نفسه، ص:105

16-د/ رشيد كوراد: الطاهر وطار من "اللاز" إلى "الشهداء يعودون هذا الأسبوع" –إشكاليات إعادة إنتاج التاريخ-، مجلة مخبر الدراسات الأدبية، العدد الثاني جانفي 2015-جامعة الجزائر 02، ص:27

17- الطاهر وطار: اللاز –رواية-، ص:105

18- واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص:504

19- الطاهر وطار: اللاز –رواية-، ص:50

20- بوريس سوتشكوف: المصائر التاريخية للواقعية، ترجمة: محمد عيتاني وأكرم الرافعي، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى 1974، ص:231

21- واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص:504

22- الطاهر وطار: اللاز –رواية-، ص:162

23- المصدر نفسه، ص:97

24- عبد الرزاق عيد: دراسات نقدية في الرواية والقصة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق –سوريا، الطبعة الأولى 1980، ص:129

25- الطاهر وطار: اللاز –رواية-، ص:164

26- المصدر نفسه، ص:109

27- واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص:510

28- جورج لوكاتش: الرواية التاريخية، ترجمة: د/ صالح جواد الكاظم، وزارة الثقافة والفنون، بغداد –العراق، الطبعة الأولى 1978، ص:51

29- الطاهر وطار: اللاز –رواية-، ص:272

30- غالي شكري: مقدمات في سوسيولوجيا الرواية العربية الجديدة –سلسلة دراسات عربية-، دار الطليعة، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، العدد 04، فبراير 1980، ص:130

31- الطاهر وطار: اللاز –رواية-، ص:42/41

المصادر والمراجع:

1- أحمد إبراهيم الهواري: نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر، دار المعارف، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى 1978.

2- بوريس سوتشكوف: المصائر التاريخية للواقعية، ترجمة: محمد عيتاني وأكرم الرافعي، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى 1974

3- جودت الركابي: قصة اللاز للطاهر وطار –دراسة تحليلية-، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والإعلام –الجزائر، العدد 33، جويلية 1976.

4- جورج لوكاتش: الرواية التاريخية، ترجمة: د/ صالح جواد الكاظم، وزارة الثقافة والفنون، بغداد –العراق، الطبعة الأولى 1978.

5- رشيد كوراد: الطاهر وطار من "اللاز" إلى "الشهداء يعودون هذا الأسبوع" –إشكاليات إعادة إنتاج التاريخ-، مجلة مخبر الدراسات الأدبية، العدد الثاني جانفي 2015-جامعة الجزائر 02.

6- سامي خرطبيل: الرواية عند لوكاتش –سلسلة دراسات عربية-، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، العدد الأول نوفمبر(تشرين الثاني) 1980.

7- سيرغي بتروف: الواقعية الاشتراكية، منهجا واتجاها، -عدد خاص بالواقعية، مجلة الموقف الأدبي ،دمشق –سوريا، العدد 85 ماي (آيار)، 1978.

9- الطاهر وطار: العشق والموت في الزمن الحراشي(الكتاب الثاني للاز)، المؤسسة الوطنية للكتاب، -الجزائر، الطبعة الأولى 1985.

10- الطاهر وطار: اللاز –رواية-، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، -الجزائر، الطبعة الثالثة، 1981.

11- عبد الرزاق عيد: دراسات نقدية في الرواية والقصة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق –سوريا، الطبعة الأولى 1980.
12- غالي شكري: الرواية العربية في رحلة العذاب، دار عالم الكتب للنشر، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى 1971.
13- غالي شكري: مقدمات في سوسيولوجيا الرواية العربية الجديدة –سلسلة دراسات عربية-، دار الطليعة، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، العدد 04، فبراير 1980.
14- واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، -بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية-، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر، الطبعة الأولى 1986.